ثم الوقف عند ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ توفية للاستثناء حقه بإدخال المعصومين فيه، مزية لهم عمن سواهم بعلمٍ من التأويل، معرفة بمداخله ومخارجه، وسلوكاً لمحاجه ومناهجه المباهج.

والمنزلة العوان - الوسطى - بين المنزلتين هي اللائقة بهم، اللابقة لهم، تنزيلاً لهم عن ساحة العلم بالتأويل ككلٍّ مساماةً لله وعوذاً بالله، وترفيعاً لهم عن قاعة الجهل به ككلٍّ مساماة لسائر الأمة وعوذاً بالله.

فحصالة القول هنا وأصالته أنه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لا سواه، حيث يراد تأويله كلُّه بأسره دون إبقاء، فإن معرفة كُنْهِ الذات والصفات والأفعال الربانية وعلم الساعة وما أشبه خاصة بالله.

كما أنه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ بفارق أنهم لا يعلمون كلّ التأويل و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ هو من الدليل على جهلهم بقسم من التأويل، بل ما علمهم الله فإنهم لم يعلموا ما علموا من التأويل إلّا بما علمهم الله القدر الصالح لقيادة العصمة وعصمة القيادة[1].

وقد يوسع نطاق ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ تقابلهم بـ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فكما الزيغ دركات كذلك الرسوخ في العلم درجات.

وكما أن أفضل الراسخين هو الرسول ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام كذلك أرذل الزائغين هم الذين جعلوا القرآن عضين، يعطفون القرآن على الرأي حين يعطف هؤلاء الرأي على القرآن، ويعطفون الهدى على الهوى حين تُعطف الهدى على الهوى.

(١) الدر المنثور ٢: ٦ - أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلّا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب.

فكل تفسير أو تأويل للقرآن بعيد عن جادة الصواب هو من زيغ القلب، كما أن صالح التفسير والسكوت عما لا يعلم من تفسير أو تأويل، ذلك من الرسوخ في العلم.

١١ - ولا يخص التأويل هنا تأويل ما تشابه منه بل والمحكمات، حيث التأويل يعني المأخذ بدائياً والمآل نهائياً، ولقد فصلنا القول فيه في مدخل التفسير فلا نُعيد، والجدير بالذكر هنا أن للمتشابه تأويلين وللمحكم تأويل واحد، مهما كان لكلّ بطون.

١٢ - كما وقد سبق البيان في الفارق بين التأويل وتفسير المتشابه.

ويا للراسخين في العلم من خنوعٍ وخشوعٍ في جَنْبِ الله في دُعاء السلب والإيجاب:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾:

وترى أن إزاغة القلب هي من الله ولا سيّما بعد إذ هدى، وخاصة بالنسبة للراسخين في العلم؟ إنها من العبد حين يَزيغ فيُزيغ الله قلبه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[١] وإن كان بعد إذ هدى، وأما الراسخون في العلم فدعاء السلب لهم تعني أنهم لا يملكون في أنفسهم هدىً لولا تثبيت من الله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[٢] لا سيّما وأن الراسخين هنا تشمل مع المعصومين سواهم، الذين هم في خطر الزيغ من أنفسهم فالإزاغة من الله.

فقد تعني هذه الدعاء لهم ككلّ: أدم لنا ألطافك وعصمتك وهُداك ولا تَكِلْنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً، ولا تَبْتلِنا بأمر إمر يثقل علينا القيام به

(١) سورة الصف، الآية: ٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.

والخروج إليك من حقه فتزيغ له قلوبنا، فهي - إذاً - كمثل ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[١].

وقد تعني الإزاغة ترك التوفيق عن زيادات الهدى بنقصان الاهتداء ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[٢] فقد سألوه - إذاً - أن يلطف لهم بكثرة الخواطر وقوة الزواجر في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه طيلة أعمارهم ولا يتركوه في مستقبلهم فيستحقوا بتركه وفعل الكفر - بدلاً منه - أن يزيغ الله تعالى قلوبهم عن الثواب، فاعلاً بهم مستحق العقاب.

وقد تعني - لا سيّما بالنسبة للمعصومين - خضوعهم واستكانتهم بإنابتهم إلى الله على أن ترك الإزاغة حاصل لهم لرسوخهم في العلم، فهي كما ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[٣] وهو ليس ليحكم إلّا بالحق.

وإنما اختص القلب من بين الجوانح والجوارح بتلك الدعاء لأنه شريف الأعضاء جانحة وجارحة، فإنه قلب الروح وهي عمّاله وتحت إمرته، فإذا اهتدى القلب اهتدت، وإذا زاغ زاغت واحتدت[٤].

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ رحمة خاصة لدنية تَعْصِمُنا عن الزيغ أياً كان من دركاته، حيث الرحمة تعني كلّ درجاتها ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١١٢.

(٤) الدر المنثور ٢: ٨ - أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: اللّهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلت: يا رسول الله ﷺ إنّ القلوب لتتقلب؟ قال: نعم ما من خلق الله من بشر من بني آدم إلّا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، قلت: يا رسول الله ﷺ ألّا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال بلى قولي: اللّهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني.

وإنما تطلبوا إيجاب الرحمة بعد سلب الزيغ لأن هذا السلب لا يُغني عن ذلك الإيجاب، فقد يكون عواناً بين سلب الزيغ وإيجاب الرحمة فهو من المستضعفين الضالين، كما الزائغون من غير المغضوب عليهم والمرحومون هم من المهتدين إلى الصراط المستقيم، فلذلك ثني هنا الإيجاب بعد السلب تكملة للهدى.

فقد تنضم دعاء السلب والإيجاب هذه من الراسخين في العلم في خِضَّم كلمة التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ حيث التعلق بكل ما سوى الله زيغ، والتعلق بالله هدى ورسوخ في العلم وبينهما عوان.

أو يقال هناك زيغ في القلوب وهنا رسوخ في العلم وبينهما عوان لم يذكر وهو القلب السليم غير الراسخ فيه العلم، فلا هو يفسر المتشابهات زائغاً ولا هو يعلم تفسيراً أو تأويلاً صالحاً، كالعوام من المؤمنين الذين لا يفهمون القرآن.

ومن اتباع المتشابه الجدال والمراء فيه ونثره نثر الدقل تأولاً له على غير تأويله وتراجعاً فيه ضرباً لبعضه ببعض، كما يروى متظافراً عن رسول الله[1].

(١) الدر المنثور ٢: ٥ - أخرج جماعة عن عائشة قالت: تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ. . .﴾ [آل عِمرَان: ٧] فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم - ولفظ البخاري -: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله باحذروهم - وفي لفظ لابن جرير - إضافة: والذين يجادلون فيه، وفيه عنه ﷺ قال: إن في أمتي قوماً يقرأون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله، وأنه خرج على قوم يتراجعون في القرآن وهو مغضب فقال: بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضرب الكتاب بعضه ببعض - قال -: وإن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به، وفيه أخرج الطبراني عن عمر بن أبي سلمة أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن مسعود: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد وإن القرآن نزل من سبعة أحرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب أمثال وآمر وزاجر=

وزيغ القلب يعمُّ جانب الإيمان إلى جانب العلم والعقل، فكل ضيق للإنسان يتطلب ضيقاً في فهم القرآن.

نظرة ثانية إلى آية التقسيم:

﴿هُوَ ٱلَّذِى . . .﴾ تحصر إنزال الكتاب ككلٍّ في الوحي، فليؤمن المؤمن به كلِّه - بما لا يفهمه إلى ما يفهمه - دون تقحم في المتشابه ما لم يجد لتأويله صالح السبيل، أو وفي محكمه صالح التأويل.

= فأحلّ حلاله وحرّم حرامه واعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر مثاله فإن كلًّا من عند الله وما يتذكر إلّا أولو الألباب، وفيه أخرج ابن جرير ونصر المقدسي في الحجة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: نزل القرآن على سبعة أحرف المراء في القرآن كفر ما عرفتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه.

وفيه عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفقٍ نجا ومن أوغل فيه بعنفٍ غوى أخبار وأمثال وحرام وحلال وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء وإياكم وزلة العالم.

وفي نور الثقلين ١: ١٣٣ في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: ثم إن الله جلّ ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبطلون من تغيير كلامه قسم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل وقسماً لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه ولطف حسّه وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام وقسماً لا يعرفه إلّا الله وأنبياؤه والراسخون في العلم وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم وليقودهم الاضطرار إلى الائتمار لمن ولاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعززاً وافتراءً على الله واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله جلّ اسمه ورسوله ﷺ.

وفي تفسير العياشي عن سماعة بن مهران قال قال أبو عبد الله عليه السلام: أكثروا من أن تقولوا ربنا لا تزغ. . . ولا تؤمنوا الزيغ، وأصول الكافي عن هشام بن الحكم قال قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ربنا لا تزغ. . . حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، أنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدقاً وسرّه لعلانيته موافقاً لأن الله لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلّا بظاهر منه وناطق عنه.

ومهما اشتمل القرآن على مُتشابهات على ضوء المحكمات، فالأصول الدقيقة للعقيدة وأحكام الشرعة ككل هي من ضمن المحكمات التي لا تشابه فيها.

أجل ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أُمًّا للمتشابهات - لا لأنفسها أيضاً مهما كان من الكتاب - فالإضافة إذاً ليست لامية بل هي بتقدير «من» أمٍّ من الكتاب كما إن المتشابهات وُلدٌ من الكتاب والكتاب يجمعهما، حيث يستثار بها دفائن مدلولاتها، وأمًّا لمبتغي المعرفة عن أصل الشرعة والشرعة الأصيلة في حقلي الأصول والفروع.

ذلك - فأما الذين في قلوبهم زيغ عن الحق الناصع الناصح، وضلال عن سوي الصراط فطرياً وعقلياً وواقعياً، هم أولاء الأنكاد يتركون الأصول الواضحة التي تقوم عليها العقيدة والشرعة والمنهاج العملي والعقيدي والعلمي للحياة، ويجرّون وراء المتشابه الذي لا يفهم بظاهره البدائي، يتبعونه على تشابهه، تأويلاً عليلاً كليلاً دونما أي دليل، حيث يختلقون فيه مجالاً للفتنة بالتأويلات المزلزلة للعقيدة والاختلافات التي تنشأ عن بلبلة الأفكار، نتيجة الاقتحام فيما لا مجال لتأويله اللهم إلّا لأهله أم عن سبيله الواضح ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

ولأن التأويل من الأول: الرجوع، فهو الباطن مأخذاً ومرجعاً للمحكمات كما للمتشابهات، فمن التأويل ما يعلمه من لطف فهمه وهم الأولياء، ومنه ما يعلمه المعصومون فمنه تأويل الأحكام فإنهم سناداً إلى مآخذها ونتائجها يستنبطون فروعاً أخرى لا تدل عليها ألفاظها.

ومنه ما لا يعلمه إلّا الله كالحقائق الأصيلة - مآخذ ونتائج - للقرآن، فإن مصدره غيب عمن سوى الله فلا يعلمه إلّا الله، فذلك مثلث من التأويل ولكلٍّ أهله.

ويقابلهم في تلك المواجهة المضلّلة ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ حيث يعتمدون على المحكمات كأصول، ثم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا في السُّدد المضروبة عليهم من تأويله، وأما إرجاع المتشابه إلى محكمه استيضاحاً لمعناه، أم إزاحة للتشابه بالتدبر اللائق فيه، فهما ليسا من اتباع المتشابه حتى يدخلا في زيغ التنديد، بل هما مما أمر به أهل القرآن أن يدّبروا آياته فيتذكر أولو الألباب: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1].

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ ناتجةَ الرسوخ في العلم ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ دون السطحيين القشريين الذين تخدعهم قُشور من العلم، فيخيَّل إليهم أنهم يعلمون كلّ شيء، وأن لهم الاقتحام في خضم السدد المضروبة المتشابهة من علوم القرآن العظيم، فيقابلون كلام الله - المطلق المحلق على كلّ العقليات والفطريات والواقعيات العلمية - يقابلونه بما صاغتها لهم عقولهم وعلومهم المحدودة، سامحين لأنفسهم كلّ تأويل فيما تشابه منه دون أي دليل على أنهم الجديرون بإدراك كلّ غامض.

وأما أولو الألباب فهم يذكرون أنهم مطلق الجهل أمام علم الله المطلق، يعتقدون كلّ وامض اتضح لهم بتدبر وتفكير فيعملون به، ويؤمنون بما تشابه منه ولم يتضح لهم قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ محكماً ومتشابهاً - متشابهاً ومحكماً ﴿كُلّٞ﴾ منهما دون فارق ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ - ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ...﴾:

نظرة ثالثة إلى آية التقسيم فيها نتيجة البحث عنها بصورة مجملة:

المستفاد من آية التقسيم أمور تالية:

١ - تقسيم القرآن إلى محكمات ومُتشابهات حاصر فيما تعني دلالته من

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

آيات، دون الحروف المقطعة التي هي برقيات رمزية تخص الرسول ﷺ وذويه المعصومين، ثم لا إجمال ولا إبهام فيما يُراد دلالته محكمة أم متشابهة.

٢ - ليس التشابه في المُتشابهات من الناحية الدلالية فإنه خلاف الفصاحة والبلاغة الساذجة فضلاً عن القمة العليا لأعلى درجات الإعجاز في القرآن، وإنما التشابه الذي يزول بالتأمل في المُتشابهة أو بالرجوع إلى محكمها هو التشابه اللفظي كالأسماء والصفات المشتركة الاستعمال بين الله وخلقه، ثم الواقعي كالمحكمات الأحكامية المنسوخة حيث تتشابه الثابتة غير المنسوخة.

وأما التشابه المعرفي والعلمي والعقلي والحسي، فيما يختلف النص أو الظاهر المستقر مع هذه الأربع، فليس مقصوداً في ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فإنه من المحكمات لفظياً وواقعياً ولا بدّ من الرجوع إلى نفس الآية واتباع دلالتها الظاهرة رفضاً لخلافها في هذه الحقول الأربعة.

والآيات المتشابهات بصورة عامة هي (٣٦) قسماً بضرب التشابهات الست في نفسها، تخرج منها المكررات والباقية بين ما تضمنه الآية وما هي متشابهة من جهات أخرى.

٣ - التشابه والإحكام أمران نسبيان في القرآن حسب مختلف الاستعدادات والتأملات، فلا متشابهة إطلاقاً لأهل بيت الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين، وكلها متشابهة لمن لا يعرف اللغة العربية وبينهما عوان.

٤ - زيغ القلوب الذي يخلِّف اتباع ما تشابه منه يعم الزيغ العلمي والعقلي والعقيدي لمكان «زيغ» دون «الزيغ» واتباع ما تشابه منه بين مستحيل ومحظور ومحبور، فالأول هو اتباعه على تشابهه دون تأويل صالحاً أو طالحاً، والثاني تأويله دون سناد إلى دليل، والثالث هو التأويل بصالح

الدليل، والاتباع يعم العلمي والعقيدي، والعملي فيما فيه عمل، فليس البقاء على التشابه دونما تفسير اتباعاً له، ولا اتباع ما تشابه بعد تفسيره الصحيح اتباعاً محظوراً، وإنما المحظور هو اتباعه بتفسير وتأويل عليل دخيل.

٥ - لا يعني التأويل تفسير النص أو الظاهر إلى خلافه رغم اشتهاره فإنه تأويل عليل للتأويل، إنما هو الإرجاع، تأويلاً للمتشابه إلى المحكم ليزول التشابه، ثم تأويلاً للمحكم إلى مبدئه ونتيجته هنا أم بعد الموت، ومن التأويل ما يختص بالله ككلِّ غيب مختص به، ومنه ما يختص بالمعصومين كتأويل الأحكام فإنهم يعرفون مناطات الأحكام بما علمهم الله بالرسول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾[1] فهو صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بين الناس في كافة الحقول بما أراه الله، إراءة خاصة له بعد عامة القرآن، ومنها إراءة تأويلات الأحكام حتى يأهل للإفتاء في كلّ صغيرة وكبيرة بتلك الإراءة.

ومن التأويل ما يعمُّ أهل القرآن على درجاتهم، تأويلاً للمتشابه بنفسه أم بالرجوع إلى محكمه، أم تأويلاً لبعض الأحكام إلى مآخذها المنصوصة بالخصوص كتاباً أو سنة، أم مُتلقاة منهما بصورة قاطعة، كمأخذ الإسكار للخمر حيث يعمُّ التحريم إلى كلّ مسكر وإن لم يكن خمراً بالفعل، كمن يشرب العصير الكثير ثم ينام وجاه الشمس ثم يسكر.

٦ - الراسخون في العلم يعم كافة المؤمنين غير الزائغة قلوبهم مهما كانوا جهالاً لا يعلمون من القرآن حرفاً، مهما كان أفضل الراسخين في العلم هم الرسول والأئمة المعصومون من عترته عليهم السلام، وبينهما متوسطون.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

والواو في ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ في العلم تعني كلا العطف والاستئناف، عطفاً للتدليل على أن منهم من يعلم جانباً من التأويل، واستئنافاً للتدليل على اختصاص عامة التأويل بالله والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾:

فاعترافة أولى لأولي الألباب: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ جامعة لمثلث الإيمان بالتوحيد والنبوة وكتاب الشرعة ككلّ، وهنا ثانية هي تالية التوحيد في هندسة الإيمان أياً كان: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ...﴾.

فـ ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ فطرياً وعقلياً وعلمياً وحسياً، هو هنا يوم الجمع، حيث يجمع فيه الناس نشراً وحشراً وحساباً وجزاءً وفاقاً ولا يظلمون فتيلاً.

وإنه جمع يجمع في خِضِمّه كلَّ متطلبات الجزاء الوفاق لكلِّ عامل صالحاً أو طالحاً، ناساً وغير ناس، وما ذكر الناس هنا وفي كثير مثله إلّا لأنهم المحور الأساس في شرعة الله.

ومما يؤكّد ذلك الجمع ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ أفيخلفه عجزاً أم جهلاً أم تجاهلاً أم بُخلاً أو ظُلماً، وساحة الربوبية براءٌ عن كلّ نقص لأنه «الله» و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بهذه الأصول الإيمانية وماتوا وهم كُفّار - كما تعينه ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ في التالية - ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ يوم الجمع ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ﴾ بعدما أغنت عنهم في حياة الابتلاء ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ﴾ لا سواهم ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ حيث الكفار دركات أنزلها وأنذلها